بسم الله الرحمٰن الرحيم

الدرس الثاني (١٤٢٨/١٢/٢٠)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وعلى أصحابه أجمعين.

قال شيخ الإسلام الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في كتابه القواعد الأربع:

[المتن]

القاعدة الأولى: **أن تعلم أنّ الكفّار الذين قاتلهم رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – مُقِرُّون بأنّ الله تَعَالىٰ هو الخالِق المدبِّر، وأنّ ذلك لم يُدْخِلْهم في الإسلام، والدليل قوله تَعَالىٰ: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللّهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ﴾**[يونس:٣١].

[الشرح]

هٰذه قواعد أربعة جمعها المصنف – رحمه الله تَعَالىٰ – في هٰذه الرِّسالة التي اشتُهرت بالقواعد الأربع؛ لأنَّها جمعت أربع قواعد عظيمة جدا ومهمة يحتاج إليها كل مسلم؛ لأن بمعرفة هٰذه القواعد يميز المسلم بين الحق والباطل، والتوحيد والشرك، والهدى والضلال، ولا تلتبس عليه الأمور، ولا تنطلي عليه شبهات المضلين وأضاليل المبطلين؛ بل إنّ هٰذه القواعد تكون له بإذن الله – عز وجل – نعم العون على المحافظة على التوحيد الصحيح والإيمان الراسخ، والبعد عن الشرك الذي هو أعظم الذنوب وأظلم الظلم.

هٰذه القواعد – أيها الإخوة الكرام – قواعد عظيمة جمعها المصنف – رحمه الله – ليميز بها المسلم بين التوحيد والشرك، ليعرف حقيقة التوحيد الذي خلق الخلق لأجله أوجدوا لتحقيقه، ويعرف من خلالها حقيقة ضده وما ينقضه وهو الشرك بالله –عز وجل– الذي هو أعظم شيء نهى الله –تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ– عباده عنه وتوعّد أهله بأن يعذبهم يوم القيامة وأن يخلّدهم في نار جهنم أبد الآباد وأن يدخلهم نار جهنم، وأن يبقوا فيها مخلدين وأن لا يقضى عنهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها، وكل مسلم قرأ ما جاء في القرآن الكريم وسنة النبي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– من الوعيد للمشركين والتهديد لهم والعقوبات التي أعدّها الله –تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ– لهم يخاف من الشرك أعظم الخوف ويحاذره أشد المحاذرة، ويحتاط لنفسه من أن يقع فيه أو في شيء من جوانبه.

وكما قدمت فإن هٰذه القواعد العظيمة المباركة التي جمعها المصنف رحمه الله تَعَالىٰ تعين العبد على ضبط هٰذا الأمر، وتعينه على حسن فهمه، وعلى السلامة من شبهات أهل الباطل.

وقد بدأها رحمه الله تَعَالىٰ بقوله: (**وذلك بمعرفة أربع قواعد ذكرها الله تعالى في كتابه.**)، وقوله رحمة الله عليه: (**ذكرها الله تعالى في كتابه**) يبيّن لنا المنهج الذي سار عليه -رحمة الله عليه- في بيان العلم وتقرير الحق والهدى، فهو في كل ما يبينه ويقرره يذكر شواهد ذلك من كتاب الله عز وجل وسنة نبيه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لا يأتي بشيء من قبل نفسه، ولا يبني حكما على الهوى أو على التجربة، أو على الذوق، أو نحو ذلك من المسالك التي يسلكها كثير من الناس في الاستدلال لم يقومون به من عبادات وأعمال، فهو رحمه الله تَعَالىٰ لا يبني شيئا من أمور الدين إلا على قال الله قال رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولهذا جاءت عامة كتبه رحمه الله تَعَالىٰ قائمة على هٰذا الأصل؛ يذكر الحكم مضموما إليه دليله من كتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلوات الله وسلامه عليه، وهٰذه الطريقة هي الطريقة الصحيحة التي ينبغي أن يكون عليها كل مسلم في عقيدته ودينه؛ إذ كيف تُعرف العقيدة الصحيحة والإيمان القويم بغير الاعتماد على كلام الله وكلام رسوله صلوات الله وسلامه عليه، وكما قال من قال من أهل العلم: كيف يرام الوصول إلى علم الأصول بغير معرفة ما جاء به الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وكان شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تَعَالىٰ- كثيرا ما يقول: من فارق الدليل ضل السبيل. ولا دليل إلا بما جاء به الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فهذه جادة مباركة وطريق قويمة كان عليها الإمام المجد رحمه الله تَعَالىٰ، وكان عليها أئمة أهل العلم من قبله وكذا من قبله؛ يقيمون أمور الدين على قال الله قال رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولهذا قال لك هنا: (**وذلك بمعرفة أربع قواعد ذكرها الله تعالى في كتابه.**) ثم شرع في ذكرها قاعدة تلوى الأخرى.

بدأ فبالقاعدة الأولى، قال: (**أن تعلم أنّ الكفّار الذين قاتلهم رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – مُقِرُّون بأنّ الله تَعَالىٰ هو الخالِق المدبِّر، وأنّ ذلك لم يُدْخِلْهم في الإسلام**) وهٰذا -أيها الإخوة- أصل عظيم وقاعدة مهمة في هٰذا الباب أن نعلم أن الكفار المشركين الذين ورد ذمهم في آيات كثيرة من القرآن الكريم، وقاتلهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واستباح أموالهم وقاتلهم صلوات الله وسلامه عليه كانوا مقرين بأن الخالق المنعم الرازق هو الله تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ، ما كانوا يقولون: إن الذي يخلق هو الأصنام أو الذي يرزق هو الأصنام، أو الذي يعطي ويمنع هو الأصنام، ما كانوا يقولون ذلك؛ بل يقولون: الخالق الله، الرازق الله، المنعم الله، المدبر الله، كانوا يقولون ذلك ويقرون به، والله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ- بيّن لنا ذلك

في القرآن الكريم في آيات كثيرة جدا، بيّن فيها تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ أنّ المشركين الكفار الذين قاتلهم النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ كانوا مقرّين بأن الخالق الرازق المنعم المتصرف المدبر هو الله تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ، ولم يدخلهم هٰذا الإقرار في الإسلام كما بين ذلك المصنف رحمه الله قال: (**لم يُدْخِلْهم في الإسلام**)؛ لأن الدخول في الإسلام لا يكون بمجرد الإقرار بربوبية الله، وأنه عز وجل الخالق الرازق المنعم المتصرف؛ بل لابد مع ذلك من الإتيان بلازم هٰذا الإقرار ألا وهو أن يُفرَد -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ- بالعبادة، وأن يخصَّ وحده -عز وجل- بالطاعة، وأن لا يجعل معه شريك وأن يُخلص الدين له جل وعلا كما قال سبحانه: ﴿**وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء**﴾[البينة:٥]، وكما قال جل وعلا: ﴿**وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا**﴾[النساء:٣٦]، وكما قال جل وعلا: ﴿**وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ**﴾[الإسراء:٢٣]، وكما قال جل وعلا: ﴿**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ**﴾[النحل:٣٦]، وكما قال جل وعلا: ﴿**قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا**﴾[الأنعام:١٥١]، وكما قال جل وعلا: ﴿**أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ**﴾[الزمر:٠٣]، وكما قال جلّ وعلا: ﴿**فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٢)**﴾[البقرة:٢٢]، والآيات في هٰذا المعنى كثيرة جدا فلا يكون المرء موحدا لله عز وجل إلا إذا أخلص العبادة لله، لا بمجرد إقراره بأن الرب الله، والخالق الله، والرازق الله، والمنعم الله، هٰذه وحدها ليست كافية لأن يكون العبد بها موحدا، إذْ لا يكون موحدا إلا إذا جاء بالتوحيد العملي الذي هو إخلاص العبادة لله تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ وإفراده سبحانه بالعبادة دون سواه، بأن لا يدعو إلا الله، ولا يستغيث إلا الله، ولا يصلي ويسجد ويركع إلا لله، ولا يذبح وينذر إلا لله، ولا يتوكل ويرجو ويخاف إلا من الله، ولا يصرف شيئا من العبادة إلا له عز وجل، كما قال سبحانه: ﴿**قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ**﴾[الأنعام:١٦٢-١٦٣]، أي بهٰذا التوحيد وهٰذا الإخلاص لله عز وجل، وقال الله تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ: ﴿**وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٦٥) بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنْ الشَّاكِرِينَ(٦٦) وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٧)**﴾[الزمر:٦٥-٦٧]، ولما كانت هٰذه الرسالة رسالة مختصرة لا تحتمل الاستيعاب وبسط الدلائل والشواهد اكتفى بذكر دليل من دلائل القرآن الكريم على أن الكفار المشركين الذين قاتلهم النبي -عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ- كانوا مقرّين بأن الخالق الرازق المنعم المتصرف المدبر هو الله تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ فساق رحمه الله فساق ما جاء في سورة يونس ﴿**قُلْ**﴾ أيها النبي للمشركين ﴿**مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاء**

﴿وَالأَرْضِ﴾ قل أيها النبي، موجها الخطاب للمشركين الذين بعثت فيهم قائلا لهم: ﴿مَن يَرْزُقُكُم﴾ سلهم هٰذا السؤال: ﴿مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ﴾ سل المشركين الذين يعبدون الأصنام والذين يتخذون الآلهة والأنداد وعبدوا مع الله تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ غيره، سلهم هٰذا السؤال قل لهم: ﴿مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ﴾ من الذي يمنّ عليكم بالرزق من السماء؛ أي بالأمطار التي تنزل من السماء محملة بالخير والبركة والغيث للناس والعباد والماشية، ومن الأرض بإخراج النباتات والزروع وأصناف النعم التي يمنّ بها تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ على عباده، ماذا يقولون؟ هل يقولون: إن الذي يرزقنا من السماء والأرض هو الأصنام؟ لا يقولون ذلك؛ بل يعتقدون الأصنام ليست خالقة ولا رازقة ولا مدبّرة ولا متصرفة، وإذن لماذا يعبدونها ؟ سيأتي الجواب على ذلك،لا يعتقدون أنها خالقة، ولا يعتقدون أنها رازقة، ولا يعتقدون أنها مدبرة أو مصرفة،لا يعتقدون ذلك، وإذا سئلوا: من يرزقكم من السماء والأرض؟ لا يقولون: الأصنام؛ بل يقولون: الله هو الذي يرزقنا من السماء والأرض، أيضا سلهم من يملك السمع والأبصار، من الذي بيده ملك السمع وملك البصر وملك كل شيء، سيقولون الله هو المالك للسمع، وهو المالك للبصر، وهو المالك لكل شيء. أيضا سلهم: من يخرج الحي من الميت، ويخرج الميت من الحي، من هو الذي بيده الحياة والموت، والتصريف والتدبير، ويخرج الحي من الميت، ويخرج الميت من الحي، لا يقولون الأصنام؛ بل يقولون الذي يفعل ذلك هو الله تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ، الخالق لكل شيء، المتصرف في هٰذا الكون، وحده جل وعلا. أيضا سلهم من الذي يدبر الأمر، الأمور هٰذا الكون من إحياء وإماتة، وعطاء ومنع، وخفض ورفع، وعز وذُل.. وغير ذلك من أنواع التدبيرات، من الذي يقوم بذلك؟ لا يقولون الأصنام هي التي تدبر الأمر؛ بل يقولون: الله، ولهذا قال تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ: ﴿فَسَيَقُولُونَ اللّهُ﴾ هٰذا الجواب الذي يجيبون به، أي سيقول المشركون الكفار إذا سألتهم هٰذا السؤال: الذي يرزق من السماء والأرض، والذي يملك السمع والبصر، والذي يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي، والذي يدبر الأمر هو الله تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ، ﴿فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ﴾، إذا قالوا: إن الذي يخرج هٰذه الأشياء ويدبر هٰذه الأمور هو الله فقل لهم: ألا تتقون الله، لماذا تتخذون معهم أندادا، وتتخذون معهم شركاء، وأنتم تقرون أنه لا خالق لكم غير الله، ولا مدبر للأمر غير الله، ولا مالك إلا الله، ألا تتقون الله فتفردونه بالتوحيد وتخصونه بالطاعة وتخلصون له الدين، وقد أقررتم أنه خالقكم ورازقكم والمدبر للأمور كلها، ألا تتقون الله عز وجل، ﴿فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ﴾ أي بترك الشرك و البعد عن الكفر والإخلاص لله تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ

بالعبادة والتوحيد، فهذه الآية ولها نظائر كثيرة جدّا في كتاب الله جل وعلا تركها المصنف مراعاة للاختصار في هذه الرسالة كلها تشهد وتدل على أن المشركين كانوا يقرون بأن الخالق الرازق المنعم المتصرف هو الله تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ، ويأتي هنا سؤال قرر من خلاله المصنف رحمه الله تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ هذه القاعدة، هل الإقرار المشركين بأن الخالق الرازق المنعم المالك هو الله، هل هذا الإقرار أدخلهم في التوحيد والإسلام، هل كانوا بهذا الإقرار موحدين مسلمين؟ أم هم مع هذا الإقرار مشركون بالله كفار؟ وانظر الجواب على هذا السؤال في قوله تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ (١٠٦)﴾[يوسف:١٠٦]، ما معنى قوله: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ﴾ أي خالقا رازقا مالكا مدبرا متصرفا ﴿إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ أي مشركون غيره في العبادة، ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ﴾ أي خالقا رازقا منعما متصرفا مدبرا ﴿إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ أي إلا وهم مشركون معه في العبادة، يقرون بأنه الخالق ولكن يدعون غيره، ويتوكلون على غيره، ويذبحون لغيره، ويصرفون أنواعا من العبادة لغيره، هذا معنى قوله: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾، وأيضا قوله تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ في سورة البقرة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاء بِنَاء وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٢)﴾[البقرة:٢١-٢٢]، ما معنى قوله: ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾؟ والخطاب للمشركين الذين اتخذوا الأنداد ﴿فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ تعلمون ماذا؟ تعلمون أنه لا خالق لكم غير الله، لا رازق لكم غير الله، لا مدبر للأمر غير الله، أنتم تعلمون ذلك، والشواهد على أنهم يعلمون ذلك هاهي أماننا من كتاب الله؛ من يملك السمع والأبصار، من يملك السماء والأرض، من يدبر الأمر، من يخرج الحي من الميت، كل ذلك يجيبون قائلين الله.

إذن هم يعلمون أن الذي يخلق ويرزق وينعم، ودبر ويحيي ويميت ويتصرف، يعلمون أن الفاعل لذلك والموجد لذلك والخالق لذلك هو الله تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ، ليس له شريك في ذلك.

إذن لماذا يتخذون الأنداد والشركاء؟ لماذا يتخذون الأنداد والشركاء؟ هذا سؤال، هل الجواب على ذلك أنهم اتخذوا الأنداد والشركاء لأنهم يعتقدون أن هذه الأنداد تخلق، وأنها تحيي وتميت، وأنها ترزق من السماء والأرض، وأنها تملك السمع والأبصار؟ هل هذا الجواب على هذا السؤال صحيح؟ أبدا.

إذن لماذا يتخذون الأنداد مع أنهم يقرون أنها لا تخلق ولا ترزق ولا تدبر الأمر، ولا تحيي ولا تميت، لماذا يتخذون الأنداد؟ الجواب على ذلك سيأتي عند المصنف رحمه الله تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ في قاعدة آتية؛ لكن هنا ينبغي أن نفهم من هذه القاعدة العظيمة التي ذكرها رحمه الله تَعَالىٰ، أن إقرار المرء بأن الخالق

الرازق المنعم المتصرف هو الله تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ، هٰذا وحده لا يكفي لأن يكون به موحدا، لا يكفي هٰذا إقرار لأن يكون به موحدا لله تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ؛ بل لا يكون موحدا لله إلا إذا أتى بلازمه لا وهو إفراد الله تَعَالىٰ بالعبادة وإخلاص الدين له، كما قال ربنا جل وعلا: ﴿فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٢)﴾[البقرة:٢٢]، وكما قال جل وعلا: ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ (٩٢)﴾[الأنبياء:٩٢]، أي أعبدوا الرب الذي تفرد بالخلق والرزق والملك والإحياء والتدبير والتصرف، أفردوه وحده تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ بالعبادة، ولهذا كانت هٰذه الحقيقة التي قرّرها القرآن واهتدى إليها بعض المشركين كانت سببا لهدايتهم وتركهم لعبادة الأوثان وتخلّصهم من عبادة الأصنام التي لا تملك شيئا ولا تملك ضرا ولا عطاء ولا نفعا.

مثل قصة عمرو بن الجموح وهي قصة عجيبة وكان سبب إسلامه، وكان سيدا في قومه وكان قد خص نفسه بصنم عنده في البيت محتفيا به ومعتنيا به، يطيبه وينظفه ويجمله، ويضعه في مكان جميل في البيت، وكان كلما دخل إلى بيته عبد هٰذا الصنم، فمنّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ على ابنه معاذ بالإسلام وعلى بعض صغار الأنصار الخزرج منّ الله عليهم بالإسلام فخططوا خطة يوضحوا من خلالها لعمرو بن الجموح أن هٰذه الأصنام لا تستحق هٰذه العبادة –مثل الخطة التي قام بها إمام الحنفاء إبراهيم الخليل عليه السلام– فجاؤوا في الليل ووالده نائم الذي هو عمرو بن الجموح وأخذوا الصنم وذهبوا به إلى المكان الذي تقضى فيه الحاجة ووضعوا الصنم منكسا على رأسه فوق العذرة، فلما أصبح يريد أن يعبد ذلك الصنم أخذ يبحث عنه ما وجده، فأخذ يبحث عنه في البيت هنا وهناك إلى أن وجده منكسا على رأسه فوق العذرة، فغضب من هٰذا المنظر، ولا يزال قلبه متعلقا بهٰذا الصنم فأخذه، وغسله ونظفه وطيبه وأعاده إلى مكانه وعبده، وهو قبل قليل حمل من فوق العذرة ملطخا بالعذرة معبوده وأخذه وغسله وأزال عنه الوسخ بيده ونظفه، ثم وضعه أمامه وقام على عبادته.

ثم أعادوا الكرة ثانية وأيضا بحث عنه ووجده على هٰذه الصفة، ونظفه وأعاده إلى مكانه واستمر على عبادته.

المرة الثالثة لما أعاد الصنم إلى البيت جاء في الليل ووضع بجنب الصنم سيف، قال: إن كنت صادقا دافع على نفسك، يعني: إلى متى أنا الذي أدافع عنك وأبحث عنك وأنظفك، أنت دافع على نفسك، هٰذا السيف دافع عن نفسك، إن كنت حقا صادقا، وضع السيف عنده، جاؤوا في الليل وأخذوا الصنم بالسيف وذهبوا إلى المكان الذي تلقي فيه النساء الحيض والقاذورات وربطوا في عنقه كلب ميت، وأخذوا السيف، ورموه في هٰذا المكان، وأخذ يبحث عنه ثم وجده بهٰذه الصفة، وحينئذ طابت نفسه، لما تقرر

عنده هٰذا الأمر، إذا كان لا ينفع نفسه كيف ينفعني؟ إذا كان لا يملك لنفسه دفعا ولا نفعا ولا عطاء ولا منعا، لماذا أعبده؟ لماذا أبكي عنده؟ لماذا أمد يدي عنده أدعوه وهو لا يملك شيئا لنفسه؟ كيف يملك لي شيئا وهو لا يملك لنفسه شيئا؟

مثل هٰذه القصة أيضا قصة رجل من المشركين سافر إلى مكان بعيد ومعه أغنامه إلى صنم من الأصنام وهو يريد أن يدعوه ويسأله ويعرض عليه حاجاته، ولما وصل إلى الصنم فوجئ أن فوق الصنم ثعلب، والثعلب يبول والبول ينزل من فوق رأس الصنم إلى أسفل قدميه فهاله المنظر ثم قال بيتا:

أَرَبٌّ يَبـــولُ الثُعلُبـــانُ بِرَأسِـــهِ لَقَد هانَ مَن بالَت عَلَيهِ الثَّعالِبُ

لا تملك شيئا لنفسها فكيف تملك شيئا لغيرها يقول الله جل وعلا: ﴿أَفَلاَ تَتَّقُونَ﴾ كيف تعبدون أحجارا أو أشجارا لا تملك لنفسها ضرا ولا منعا ولا عطاء ولا خفضا ولا رفعا؟ كيف تعبدون هٰذه الأشياء، ثم هنا يأتيك سؤال ضعه في بالك لأنه سيأتي في قاعدة عند المصنف رحمه الله قاعدة مهمة: هل الشرك الذي حرمه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ هل هو عبادة الأحجار فقط والأشجار؟ هل الشرك الذي حرمه الله هل هو فقط عبادة الأحجار والأشجار، أو عبادة كل شيء سوى الله؟ يعني مثلا من عبد ملكا من الملائكة هل سيكون مشركا أولا يكون مشركا إلا إذا عبد حجرا، من عبد نبيا من الأنبياء كعيسى عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ أو غيره من الأنبياء هل يكون مشركا أو لا يكون مشركا إلا عبد حجرا من الأحجار؟

هٰذه مسألة مهمة، وسيأتي التقرير عليها من كتاب الله في قاعدة مهمة جدا عند المصنف رحمه الله تَعَالىٰ.

إذن هٰذه القاعدة –القاعدة الأولى– قرر فيها رحمه الله تَعَالىٰ أن إقرار العبد بأن الخالق الرازق المنعم المتصرف المتدبر هو الله، هٰذا وحده لا يكفي لأن يكون فيه موحدا؛ بل لابد مع ذلك أن يكون مقرا أن يأتي بلازم ذلك وهو توحيد الله عز وجل بالعبادة وإخلاص الدين له عز وجل.

[المتن]

القاعدة الثانية: **أنّهم يقولون: ما دعوناهم وتوجّهنا إليهم إلا لطلب القُرْبة والشفاعة.**

فدليل القُربة قوله تَعَالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾[الزمر:٣].

ودليل الشفاعة قوله تَعَالىٰ: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ

شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (١٨)﴾[يونس:١٨].

والشفاعة شفاعتان:

- **شفاعة منفيّة.**
- **وشفاعة مثبَتة.**

فالشفاعة المنفيّة ما كانت تُطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلاّ الله، والدليل قوله تَعَالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا بَيْعٌ فِيهِ وَلا خُلَّةٌ وَلا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[البقرة:٢٥٤].

والشفاعة المثبَتة هي: التي تُطلب من الله، والشّافع مُكْرَمٌ بالشفاعة، والمشفوع له: من رضيَ اللهُ قوله وعملَه بعد الإذن كما قال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾[البقرة:٢٥٥].

[الشرح]

وهٰذه هي القاعدة الثانية، وهي قاعدة عظيمة ومهمة جدا، وهي متممة ومكلمة للقاعدة الأولى؛ وذلك أننا عرفنا في القاعدة الأولى أن المشركين الذين بعث فيهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانوا يقرون بأن الخالق الرازق المنعم المتصرف هو الله تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ، وأن هٰذا لم يدخلهم في الإسلام.

إذن يأتي سؤال يطرح نفسه كما يقولون، إذا كانوا يقرون بأن الذي يخلق ويرزق وينعم ويتصرّف ويدبر الأمر هو الله تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ، إذا كانوا يقرون بذلك فلماذا يعبدون هٰذه الأصنام، إذا كانوا يقرون لا تخلق ولا ترزق ولا تعطي ولا تمنع.. إلخ ، لماذا يعبدونها وهم يقرون لا تخلق ولا تملك ولا ترزق ولا تدبر الأمر، كما هو واضح في الدليل الذي ساقه في القاعدة الأولى.

إذن يأتي سؤال هنا يطرح نفسه كما يقال: لماذا يعبدونها؟ لماذا يعبدونها؟ لماذا يتجهون إليها بالسؤال؟ لماذا يكون عندها ويتضرعون إليها ويلحون، إليها بالطلب، ويصرفون لها أنواعا من العبادة، لماذا ما السبب؟

يأتي الجواب في هٰذه القاعدة، قال رحمه الله: (القاعدة الثانية: **أنّهم يقولون: ما دعوناهم وتوجّهنا إليهم إلا لطلب القُرْبة والشفاعة.**) المشركون يقولون: نحن لم نتجه إلى هٰذه الأصنام، ولم ندع هٰذه الأصنام؛ لأنها ترزق أو لأنها تحيي، هٰذه أمور ليست إلا لله تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ.

إذن لماذا تعبدونها؟ قالوا: نحن لم نعبدها إلا للقربة والشفاعة ، لم نعبدها إلا للقربة، ما معنى للقربة ؟ أي لتكون وسيلة لنا عند الله، لتكون واسطة لنا عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ، نتوسط بها إلى الله، نطلب منها هي أن تقرّبنا إلى الله، هي بنفسها

نعتقد أنها لا تخلق ولا ترزق ولا تملك ولا تدبر؛ ولكننا نعبدها من أجل أن تكون واسطة لنا عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ تقربنا إلى الله وتدنينا من الله عز وجل هٰذا هو السبب.

ولهذا قال: (**أنّهم**) أي المشركون (**يقولون: ما دعوناهم وتوجّهنا إليهم إلا لطلب القُرْبة والشفاعة**) أعطنا الدليل على ذلك، ما الدليل على أنّ المشركين كانوا يعبدون الأصنام لهٰذا السبب بعينه وهٰذا الغرض بذاته؟ وقد عرفنا أن المصنف التزم في بداية هٰذه القواعد أن يذكر دليلها من القرآن لا يأتي بشيء من نفسه، وإنما يذكر لك الأمر مضموما إليه دليل من القرآن، فهنا ذكر القاعدة الثانية وهي أن المشركين كانوا يقولون: أننا دعونا هٰذه الأصنام ورجوناها وتوجهنا إليها من أجل القربة والشفاعة، أعطنا الدليل على ذلك؟ قال: (**فدليل القُربة قوله تَعَالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ﴾**) الآن يأتيك السبب، هل السبب إلا لأنها تخلق، إلا لأنها ترزق، إلا لأنها تحيي وتميت وتدبر الأمر؟ لا، إذن ما هو السبب؟ ﴿**إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى**﴾ لا لكونها خالقة ولا لكونها رازقة ولا لكونها مدبرة هٰذه أمور لا تملكها، هم يعتقدون أنها لا تملك شيئا من ذلك.

إذن لماذا عبدتموها؟ لماذا دعوتموها؟ لماذا توجهتم إليها؟ أجابوا قائلين: ﴿**إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى**﴾ أي من أجل لأن تقربنا إلى الله تَعَالىٰ نحن أهل ذنوب وأهل خطايا، وأهل إسراف على أنفسنا وهٰذه فاضلة وكريمة ولها منزلة عند الله ومكانة، فنحن نعبدها ونتوجه إليها من أجل أن تقربنا إلى الله عز وجل، قال: (**فدليل القُربة قوله تَعَالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾**[الزمر:٣].) سمى الله تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ هٰذه الأمور التي يمارسها هٰؤلاء ويقومون بها سماها الله تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ كفرا بالله جل وعلا؛ اتخاذ الأنداد والوسائط بينهم وبين الله تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ اتخذوا هٰذه الأشياء من أجل أن تقربهم من الله عز وجل، وسمى الله تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ ذلك كفرا بالله جل وعلا.

إذن هٰذا الأمر الأول الذي أشار إليه المصنف وهو القربة؛ أي أنهم إنما عبدوا هٰذه الأصنام من أجل القربة أي من أجل أن تقربهم من الله عز وجل.

الأمر الثاني وهو الشفاعة ما دليله، أي ما الدليل على أنهم عبدوها لتكون لهم شافعة عند الله عز وجل، ما الدليل على ذلك؟ قال: (**ودليل الشفاعة قوله تَعَالىٰ: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾**[يونس:١٨].) أي نحن عبدنا هٰذه التي لا تضر ولا تنفع من أجل أن تكون شافعا لنا عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ، إذن هٰذه قاعدة مهمة ينبغي أني يفهمها المسلم حتى لا يلبس عليه الأمر، وحتى لا يوقع في الشرك من حيث أراد الحق والهدى، حتى لا يأتيه بعض المبطلين، ويلبسون عليه هٰذه الحقيقة ويوقعون عليه الشرك في الله من حيث أراد لنفسه الخير والهدى، ويقولون له: هٰذه الأصنام وهٰذه المعبودات وهٰذه القباب والأضرحة إنما تدعا ويتوجه إليها من أجل

أن تكون واسطة بيننا وبين الله عزّ وجل تقربنا إلى الله زلفى، هٰذا الأمر هو الذي لأجله عبد الكفار المشركون الأصنام وتوجهوا إليها بالدعاء والرجاء، ﴿وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾.

ثم انطلق المصنف من هٰذا الوضع لبين –رحمة الله عليه– أن الشفاعة نوعان حتى لا يلتبس باب الشفاعة وأمر الشفاعة عند المسلم قال: (**والشفاعة شفاعتان: شفاعة منفيّة. وشفاعة مثبَتة.**) ما معنى شفاعة منفية وشفاعة مثبتة؟ منفية أي نفاها الله، مثبتة أي أثبتها الله، القرآن عندما تقرأ الآيات التي جاء فيها ذكر الشفاعة تجد أن القرآن شافعة منفية وشفاعة مثبتة، إذا كان القرآن فيه شفاعة منفية وشفاعة مثبتة هل نحن نجعل الشفاعات كلها مثبتة؟ أو ننفي ما نفاه الله منها ونثبت ما أثبته.

انتبهوا هنا قاعدة مهمة في باب الشفاعة عندما تقرأ القرآن الكريم تجد أن القرآن الكريم فيه شفاعة منفية نفاها الله وشفاعة مثبتة أثبتها الله، إذن الواجب علينا نحن عباد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ أن ننفي ما نفاه الله وأن نثبت ما أثبته الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ، أما والعياذ بالله أن يثبت الإنسان من الشفاعة ما نفاه الله هٰذا هو الباطل والضلال.

إذن هٰذا قاعدة وأصل مهم في هٰذا الباب أن نميّز بين الشفاعة المثبتة والشفاعة المنفية، ولأجل هٰذا قال المصنف رحمه الله تَعَالىٰ: (**والشفاعة شفاعتان: شفاعة منفيّة. وشفاعة مثبَتة.**) شفاعة منفية أي نفاها الله تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ في القرآن وشفاعة مثبتة أي أثبتها الله تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ في القرآن.

وإذا كان الأمر كذلك الواجب علينا أن ننفي من الشفاعة ما نفى الله، وأن نثبت من الشفاعة ما أثبت الله، أما من يثبت شفاعة نفاها الله تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ هٰذا عين الضلال والباطل.

قال: (**فالشفاعة المنفيّة ما كانت تُطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلاّ الله**) الشفاعة المنفية التي نفاها الله تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ في القرآن واجب على كل مسلم أن يعرف الشفاعة التي نفاها الله في القرآن من أجل أن يحذرها وأن يجتنبها وأن لا يقع فيها، لأن الله نفاها وأبطلها ما هي الشفاعة التي نفاها الله في القرآن؟ قال: (**ما كانت تُطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلاّ الله**) لو قال قائل لمخلوق كائنا من كان: أسألك أن تدخلني الجنة، أو أن تجيرني من النار أو أن تثبتني على الإيمان، أو أن تعصمني من الخطأ، أو أن تهديني سواء السبيل أو أن تجنبني مضلات الفتن، أو أن تصلح لي ذريتي، أو أن تمن علي بالزوجة الصالحة، أو تمن علي بالذرية الصالحة، أو أن تكتب لي رزقا وملكا.. إلخ، من قدم هٰذه الطلبات لمخلوق من المخلوقات كائنا من كان مهما علت درجته وبلغت منزلته، ما كانت تطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله؛ هٰذه شفاعة نفاها الله في القرآن، ما الدليل على أن الله نفاها في القرآن مضى المصنف على طريقته يذكر الأمر بدليله، قال: (**والدليل قوله تَعَالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ**

﴿يَأْتِيَ يَوْمٌ لا بَيْعٌ فِيهِ وَلا خُلَّةٌ وَلا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[البقرة:٢٥٤].) هنا: ﴿وَلا شَفَاعَةٌ﴾ نفي أو إثبات؟ نفي ﴿وَلا شَفَاعَةٌ﴾ هٰذه نفاها الله، قال: ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ هٰذه شفاعة نفاها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ وأبطلها، وهي ما يطلب من غير الله، فيما لا يقدر عليه إلا الله، هٰذا ضابط مهم ينبغي أن تحفظه أيها الأخ المسلم، هٰذا ضابط مهم تعرف من خلاله الشفاعة التي نفاها الله في القرآن الكريم، ما يطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ، لو وقف رجل أمام ضريح من الأضرحة أو قبة من القباب وقال باكيا راجيا: يا سيدي فلان أو يا فلان أرجو أن تمن علي بالولد والذرية، أنا عقيم.. مثلما يفعل بعض الجاهليين تطوف المرأة حول شجرة وتقول: يا فحل الفحول أريد ولدا قبل الحول. يعني قبل أن تتم السنة، يا فحل الفحول تنادي الشجرة، من نادى أو شجرة أو ضريحا أو قبة أو وليا أو نبيا أو ملكا أو غير ذلك يطلب منه الذرية الصالحة، الأنبياء عندما كانوا يطلبون الذرية لأنفسهم، اقرؤوا ذلك في آيات كثيرة في قصة إبراهيم وقصة زكريا، ما كانوا يطلبون إلا من الله، من طلب الذرية أو الزوجة أو الهداية أو الصلاح أو الثبات أو الاستقامة أو كشف الكربات وإزالة الهموم، بعض الناس يخاطب بعض المقبورين، يقول: يا كاشف الغم يا مجيب المكروب، يا مغيث الملهوف، يا جابر الكسير، أنا طريح عند بابك، أنا لائذ بجنابك، إن لم تأخذ بيدي من يأخذ بيدي، ينادي المخلوق ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ (٦٢)﴾[النمل:٦٢]، هٰذه أمور لله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ- لا يُلجأ فيها إلا إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ، إذن الشفاعة التي نفاها الله -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ- في القرآن الكريم هي ما يُطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ.

إذا كان الناس في الفُلك وتلاطمت بهم الأمواج وأدركهم الغرق، من الذي يوقف الرياح ويهدئ الأمواج ويكسن السفينة؟ الله رب العالمين، والله عز وجل ذكر عن أهل الشرك قال: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ (٦٥)﴾[العنكبوت:٦٥]، يعرفون وهم في تلاطم الأمواج وفي الشدائد أن الذي ينجي من الشدائد هو الله وليست الأصنام، فلهذا كانوا يخلصون لله تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ في الشدة ويشركون في الرخاء، مع أن بعض المشركين في الأزمنة المتأخرة الذين تعلقوا بغير الله من الأنداد والأولياء والقباب حتى في الشدائد وفي الكربات يفزعون إلى تلك المعبودات.

لهٰذا قرأت في بعض الكتب أن جماعة كانوا في سفينة، كان معهم رجل مسن على التوحيد والفترة فبدأت السفينة تتلاطم، وبدأ كل يهتف بمعبوده، يا سيدي فلان، يا مولاي فلان أدركني، يا فلان، يناجون المخلوقين، التفت هٰذا الرجل فإذا كل من في السفينة ليس فيهم من يناجي الله، فمد يديه وقال: يا رب أغرق

أغرق فما على السفينة من يعبدك. كلهم يدعون غيرك، المشركون في مثل هٰذه الحالة الذين بُعث فيهم النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ ما كانوا يلتجئون إلا إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ في مثل هٰذه الشدة، لهٰذا قال الله: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ (٦٥)﴾.

إذن الشفاعة المنفية ما يطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله.

أذكر لكم الآن مثالا ننظر فيه هل هو من الشفاعة المثبتة أو المنفية، بعض الزوار يأتي إلى المدينة، ومعهم خطابات من بعض الناس من بلده موجهة إلى النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، أنا اطلعت على شيء منها، قرأت كلاما بلفظه يقول: يا رسول الله، يا سيدي، يا مولاي، أنا عبد كسير وفقير ذليل، ومحتاج كذا وأنا لائذ بك، أنا لائذ بك، وملتجئ إليك، فلا ترد طلبي، ولا ترد حاجتي، ثم ذكر حاجته، ذكر أنه يريد طلبات أنا قرأتها بنفسي: يريد زوجة صالحة، ويريد فلة جميلة، ويريد مالا، وذكر أشياء؛ لكن أحفظ منها الزوجة الصالحة والفلة الجميلة ويريد أيضا مالا، هٰذه كتبها يطلبها من النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، وفي النهاية قال: وعنواني في المكان الفلاني. أين هٰذا الكاتب لهٰذه الورقة من قوله تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ لنبيه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[البقرة:١٨٦]، وهنا انتبه إلى لطيفة عجيبة في هٰذه الآية في سورة البقرة وسور أخرى يقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ: ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ ويتبع ذلك بقوله: (قل لهم) كذا لأنه عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ واسطة في ماذا؟ في إبلاغ الدين ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾[البقرة:١٨٩]، ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى﴾[البقرة:٢٢٢]، ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلاَحٌ لَهُمْ خَيْرٌ﴾[البقرة:٢٢٠]، إلى غير ذلك من الآيات، هنا في هٰذه الآية قال: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي﴾ لم يقل: (قل) لا توجد (قل) فإني قريب؛ لأن التوجه إلى الله توجه بلا واسطة أينما تكون في الدنيا واحتجت إلى حاجة سل الله بدون واسطة، لا تبحث عن وسطاء، مباشرة اتجه إلى الله ارفع يديك، أينما كنت في الدنيا حتى لو كنت في كهف مظلم، وفي صخرة مطبقة عليك في مكان مظلم، توجه إليه فإنه يراك رب العالمين ويطلع عليك، ويكتب كربتك ويزيل همك ويرزقك من حيث لا تحتسب، ألأمور بيده، والملك ملكه والخلق خلقه تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ.

المثال الذي ذكرته في الخطاب الذي أشرت إليه يندرج تحت أي شفاعة؟ مثبتة أو منفية؟ منفية، ما نخلط الأمور ونقول: دلت الأدلة على أنه عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ شفيع للناس، لا نخلط الأمور، ونقول: إنه عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ شفيع للناس، أليس هو عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ قال لفاطمة بنته: ((**يا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت لا أغني عنك من الله شيئا**))[1] وقال ذلك لعمه العباس ولعمته صفية ولقرابته، خاطبهم بذلك وناداهم به، صلوات الله

---

[1] **البخاري**: كتاب الوصايا، باب هل يدخل النساء والولد في الأقارب، حديث رقم (٢٧٥٣).

وسلامه عليه.

إذن هٰذه شفاعة نفاها الله تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ في القرآن، فيجب علينا أن نحذر من الوقوع في مثل هٰذا الأمر الذي نفاه الله تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ في القرآن.

قال: (**والشفاعة المثبَتة**) أي التي أثبتها الله في القرآن هي التي تطلب من الله، أنظر جمال العلم وجمال البيان والنصيحة، الشفاعة المثبتة هي التي تُطلب من الله، والشافع مكرم بالشفاعة، والمشفوع له من رضي الله قوله وعمله بعد الإذن، الشفاعة المثبتة هي التي تطلب من الله، الشافع يطلبها من الله؛ لأن الله قال: ﴿**قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا**﴾[الزمر:٤٤]، من أراد أن يشفع لابد أن يأذن الله له، بدون إذن الله لا يكون، قال تعالى: ﴿**مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ**﴾[البقرة:٢٥٥]، وفي الآية الأخرى ﴿**وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَٰوَاتِ لاَ تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلاَ مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاء وَيَرْضَى (٢٦)**﴾[النجم:٢٦]، فإذن هي ملك لله وبيده تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ وأي أحد كائنا من كان يريد أن يشفع عند الله لابد أن يأذن له الله بالشفاعة، هٰذا أمر، وأيضا من أراد بنفسه أن يكون الأنبياء والملائكة شفعاء عند الله يطلبها منهم، أو من بيده الشفاعة، انتبهوا يطلبها منهم؛ أي يتوجه إليهم في طلبها يناديهم أو يتوجه إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ؟ الشفاعة بيده فمن أراد بنفسه أن يكون الأنبياء شفعاء له والملائكة عليه أن يقول في طلبه ودعائه يا رب يا الله –يسأل الله– شفع في أنبياءك، أو يقول: اللهم اجعل نبيك محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شفيعا لي يوم القيامة. وهكذا نقول في دعائنا نسأل الله تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ، نقول: اللهم اجعل نبيك محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شفيعا لنا يوم القيامة، اللهم اجعلنا ممن يشفع لهم نبيك يوم القيامة، نسأل الله جل وعلا، نطلب من الله؛ لأن الشفاعة ملك لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ، وهي لا تكون إلا بإذنه للشافع ورضاه تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ عن المشفوع له، ولا يشفعون إلا لمن ارتضى.

أرأيتم لو أن شخصا كافرا مشركا يعبد الأوثان ومات على عبادة الأوثان وشُفع له عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ هل تنقذه هٰذه الشفاعة من النار ويخرج بها من النار؟ قال تَعَالىٰ: ﴿**فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ (٤٨)**﴾[المدثر:٤٨]، وفي صحيح البخاري قصة عظيمة جدا تهز القلوب هزا رواها الإمام البخاري في صحيحه، وهي قصة إبراهيم الخليل مع والده يوم القيامة، ذكرها نبينا عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ قال: ((**يلقى إبراهيم الخليل أباه يوم القيامة، فيقول له: ألم أقل لك لا تعصني؟ فيقول والده: الآن لا أعصيك، ثم يقول إبراهيم الخليل** –خليل الرحمٰن–: **يا رب ألم تعدني أن لا تخزني يوم يبعثون، وأيّ خزي أخزى من أبي الأبعد، فيقول الله** –تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ–: **إني حرمت الجنة على الكافرين**)) هٰذا جواب الله لإبراهيم خليل الرحمٰن ((**ثم يقول له: أنظر، فيلتفت فإذا والده**

مسلم: كتاب الإيمان، باب في قوله تعالى: ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾، حديث رقم (٢٠٦).

صار على هيأة ذيخ)) الذيخ ذكر الضباع ملطخ بدمه ((**فيؤخذ بقوائمه ويلقى في النار**)) [١] ذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ عن والد إبراهيم واقرأ في آخر سورة التحريم: ﴿**ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا**﴾[التحريم:١٠]، ونوح لم يغنِ عن ابنه شيئا؛ لأنه كان كافرا ولم يغن عن زوجته شيئا لأنها كانت كافرة، إبراهيم لم يغن عن أبيه شيئا لأنه كان كافرا، فالشفاعة لا تكون إلا بإذن الله للشافع ورضا الله تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ عن المشفوع له.

واسمع حديثا رواه الإمام مسلم في صحيحه ينفعك الله به، أبو هريرة –رَضِيَ اللهُ عَنْهُ– سأل النبي –عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ– سؤالا مهما وعظيما وكبيرا قال: يا رسول الله من أحق الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال: ((**من قال: لا إله إلا الله خالصا من قلبه**))، [٢] وأيضا روى مسلم في صحيحه عن نبينا عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ أنه قال: ((**لكل نبي دعوة مستجابة، وإني ادخرت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، وإنها نائلة إن شاء الله من لا يشرك بالله شيئا**))، [٣] ولهذا أنبهك هنا أن في موضوع الشفاعة ثلاثة أصول مهمة ينبغي أن تحفظها:

الأصل الأول: أن لا تكون إلا بإذن الله.

الأصل الثاني: أن الشفاعة لا تكون إلا عن من رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، من رضي الله قوله وعمله.

الأصل الثالث: أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ لا يرضى إلا عن أهل التوحيد.

هٰذه ثلاثة أصول في الشفاعة احفظها ينفعك الله تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ بها، هٰذه الشفاعة بهٰذه الضوابط هي الشفاعة التي أثبتها الله تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ في القرآن.

قال المصنف: (**والشفاعة المثبتة هي التي تطلب من الله والشافع مكرم بالشفاعة، والمشفوع له من رضي الله قوله وعمله بعد الإذن**) وجُمع بين هذين الشرطين الرضا والإذن في قوله تَعَالىٰ في سورة الذاريات: ﴿**وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لاَ تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلاَّ مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاء وَيَرْضَى (٢٦)**﴾[النجم:٢٦]، الإذن للشافع والرضا عن المشفوع له، والله تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ لا يرضى إلا عن أهل التوحيد.

---

[١] **البخاري**: كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿واتخذ إبراهيم خليلا﴾، حديث رقم (٣٣٥٠).

[٢] **البخاري**: كتاب العلم، باب الحرص على الحديث، حديث رقم (٩٩)، وليس عند مسلم.

[٣] **مسلم**: كتاب الإيمان، باب اختباء النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دعوة الشفاعة لأمته، حديث رقم (١٩٩).